الباب الثامن فى تفصيل المشية

١ في الركض يستر الارض مثل العندليب ولا يرفع اليدين او يعوج الركبتين ٢ في المشية رجلاه تقعان امام يديه وخارجاً عنهما ايضاً ٣ وذلك يتعلق بوسط قطاتيه وفخذيه ٭ تمت وبالخير عمت ٭ بدوى عراق

مشارفة سد الهنديه

Une visite au barrage de Hindyeh.

(لغة العرب) كثر الكلام في هذه الايام ، عن سد الهندية . فمنهم من استحسنه وتفاءل به خيراً للبلاد والعباد ، ومنهم من رأى فيه ضرراً لنا ولديارنا ، وفريق ذهب الى ان النضار العثماني واموال الدولة تدفن فيه دفناً . وجماعة قالت انها تبذرها بذراً يثمر عن قريب المثل مئة ضعف او الف ضعف . الى غير هذه من الاقوال والارآء . فارادت ادارة مجلتنا ان تعرف الحق من الباطل . فانفذت رجلاً بصيراً بالامور عارفاً الحقائق محباً للوطن ليشارف ذلك السد ويرفع الينا رفيعة . وبعد ان عاد من مهمته كتب الينا ما خالجه من الشواعر بهذا الخصوص ونحن ندرج هنا للقرآء ما انشأه واليك ماقال :

سمعت منذ حداثة سنى ومازلت اسمع الى الان اقوالاً مختلفة بشأن هذا السد وعن تصميم الدولة على بنائه وعلى تحقيق امنيتها . وكانت هذه الاقوال كثيراً ماتتصادم بعضها ببعض . ويناقض الواحد مايثبته الآخر ، لابل رأيت كثيرين ينتقدون السد واشغاله الحالية والحالية انتقاداً يشف عن حزازات دفينة أو عن غايات واهوآء متباينة حسب الدافع الذى يدفعهم الى القول . ومن الغريب ان كل ماسمعته من زين وشين (وبعض الاحيان كنت اسمع اشياء تصدر من مصدر جليل اويعتمد عليه) لم يثبت فى نفسى رأيا دون رأى بل اثار فى صدرى شوق التحقيق ولاعج الاستقرآء . فقلت فى نفسى : لايحسن بى ان اتمسك بقول هذا دون ذاك بل يجدر بى ان اذهب بنفسى الى محل الاشغال وانظر ما فعله فى السابق المهندس البارع الفرنسوى شندرفر Schœnderfer واقابله بما رسمه المهندس الشهير الانكليزى السير وليم ولكوكس Willcoks وحينئذ استطيع ان ابين حكمى وارى رأيى بعد ان اكون قد نظرت ما فى الرسمين من الحسنات والسيئات . اما اليوم وقد اتممت ماكان قد دار فى خلدى تبين لى الحق وصرح فجمعت فى ذاكرتى ماسمعته فى السابق وضممته الى مارأيته

واختبرته بنفسي، فتقوم من كل ذلك حقيقة انظمها قائمة على ركن مكين .

وقبل ان اتعرض لوصف السد ابدأ بان اقول لكم ان اعادة الماء الى نهر الحلة امر ميئوت لارجوع اليه ولا يحتاج الانسان الى ان يكون من العلماء اصحاب الفن لكي يوقف صاحبه على مالم يره بنفسه . فمجرد النظر الى تلك الاشغال الهائلة التي تجريها الحكومة بل تختمها في الهنديه تكفي لكي تزيح عن فكركم كل شك في هذا الصدد .

ودونكم الان الافادات التي اقتبستها في المواطن التي تقوم فيها الاعمال، وقد قرنت بها الملاحظات والتأثرات التي وقعت في نفسي او شعرت بها في مطاوي مشارفتي اياها :

في الموطن الذي تتم الاشغال اليوم يتفرع الفرات الى فرعين : الفرع الاول وهو الفرع الايسر اسمه « شط الحلة او نهر الحلة » والفرع الثاني وهو الفرع الايمن اسمه : « شط الهنديه او نهر الهنديه » . وكانت شعبة الحلة في الازمان الخالية اعظم من الشعبة الثانية اختها. اما اليوم فالامر بالعكس اذ كل ماء الفرات يتدفق في شط الهنديه . وقد ذهب الباحثون في هذا الانقلاب مذاهب شتى معللين له اسباباً مختلفة . ولما كانت معرفتي لاتجاري معرفة اولئك المدققين من اهل الفن لقلة بضاعتي في هذه المادة اجتزئ بان اذكر الامور على اوجهها بدون ان اتوغل في البحث عن عللها واسبابها ولهذا اضرب صفحا عنها.

بدأ تحول الفرات عن مجراه قبل نحو ٤٠ سنة . فلما رأى اولو الامر هذا الانحراف في الجرى قاموا له وقعدوا، وشرعوا في سنة ١٨٨٥ باقامة سد غواص وكان المهندس له الفاضل شندرفر المذكور وبناه بالطاباق وجعله في عرض النهر ليقلل جريانه في شط الهنديه ويكثر انحداره الى شط الحلة لاسيما في ابان الصيهود (نقصان الماء) الذي يكون في ايام الخريف . ولو سعى اولو الامر بالمحافظة على حالته التي رسمت له محافظة تامة لكانت تحققت الامنية . الا انه لاسباب عديدة اهمل امره . ولما تعاقب الزمان عليه اخذ بالانهدام والانهيار حتى لم يعد وافياً بالمقصود ولم تبق فيه فائدة . واصبح ترميمه كثير النفقات وصعب التحقيق فاضطر اصحاب الحل والربط الى اهماله بتاتاً والى ابداله بسد آخر اقوى واحكم واوفى فائدة بالمرام حسماً للامر بدون ان يحتاجوا الى ان يعودوا اليه كل حين مع

تحقيق الامنية ان يجرى الماء جرياً غزيراً فى شط الحلة على طول مدة السنة وهذا هو فكر السير وليم ويلكوكس وهو الفكر الذى يخرج اليوم الى عالم الوجود منذ سنة ١٩٠٩ .

ان اشغال السد تقدمت تقدماً عظيما اذ انها تنتهى فى اواخر الخريف واليوم يجد المهندسون والعملة فى اتمامها ولا يمكنى ان اخفى عليكم ما اقوله وهو: انى تعجبت غاية العجب من فخامة هذا البناء المكين وضخامته وجلالته . وفى ظنى ان هذا السد هو اعظم واجل من جميع الاسداد الموجودة فى بلاد دولتنا العلية . ولقد عجبت من حسن محل الشغل الذى يستغرق ارضاً مساحتها ١،٥٠٠،٠٠٠ متر مربع ودهشت مما رأيت من عمالنا العراقيين المشتغلين هناك . فحقيقة هم اهل لان اهنئهم بما رأيت منهم من شدة النشاط والنباهة والذكاء اذ كل ذلك يرى فى كل ما يأتونه ويفعلونه مع انهم لم يخرجوا فى مدارس اصحاب الفن ولا فى مكاتب عليا بل ولا دنيا . فكيف بهم لو دخلوها واتقنوا الفنون الراجعة الى هذه الاعمال . وتحققت اليوم كما ثبت الامر سابقاً ان لابناء العراق من الذكاء الفطرى والانتفاع من كل نور عصرى ما قلما يرى فى اهالى سائر البلاد اذ يتلقون بسهولة كل ما يشاهدونه بدون ادنى كلفة او تعب . وسواء كانوا مرارين اوطيانين اوبنائين اومشتغلين بالآلات فكلهم قد اكتسبوا فى زمن قليل من حسن التصرف باعمالهم واشغالهم ما يقضى منهم بالعجب العجاب . ونحن ننسب تقدم هذه الطبقة من العملة الى دراية مهندسى محل السير جون جاكسن وحسن آدابهم ورفقهم بابناء الوطن . كيف لا وقد أخذوا على انفسهم بناء هذا السد وحسن معاملة ابناء هذه الديار لتكون الفائدة فائدتين: تعمير البلاد، ومجاملة العباد .

هذه الامور ترى كلها رؤية حسية بل تكاد تمس بالايدى ولهذا لا يمكن ان ينكر هذه الحقيقة البينة الا من اعماه البصر واغواه شيطان الفساد والافساد والحسد اذ المشاهد لا يستطيع الا ان يقر صاغراً امام هذه الادارة العامرة التى اخذت على نفسها ابراز تلك الامنية الى حيز الوجود . ولقد شبهت محل الشغل بخلية عظيمة من خلايا النحل (اى بكورة زنابير العسل) اذ عددت فيها اكثر من الفى عامل من كل صف وصنف بينهم من يحفر فى الارض ، وآخرون يقطعون اللبن ، وفريق يبنى الجدران ، ويقيمها على اسسها ، وجماعة تسير الآلات المختلفة ، وكثيرون يمشون

اويدفعون عجلات السكك الحديدية الخفيفة التي انشئت لنقل التراب والمواد وانواع المعدات. ورأيت في جميع المواطن ترتيباً عجيباً ونظاماً غريباً ولم اشاهد ابداً رجلاً قد انقطع عن شغله اوقد لها بغير وظيفته كما نى لم ابصر من اساء العمل او اساء التصرف في ما بين يديه بل بالعكس رأيت كل شيء سائراً في مجراه الذي رسم له قبل الشروع به وباذلاً كل مافي وسعه ليحقق ماطلع عليه فيتمه اويحكم عمله على احسن مايمكن اوافضل ما يرام لكي يمنع كل تبذير في الوقت اوفي المال اوفي المعدات .

فلما اعتبرت كل ذلك قلت في نفسي : وكيف وجد اناس ينتقدون مثل هذه الاعمال . فقاتل الله اصحاب الاغراض مااشد ضررهم على الوطن! يتكلمون باشياء وعن اشياء لم يروها ولم يفقهوها! فليأتوا مثلي الى هنا وليشاهدوها بعيونهم وليحكموا بعد ذلك بما توحي اليه انفسهم . على اني اقول انهم اذا شارفوها لايتمالكون عن ان يعدلوا عن رايهم الاول المعوج ويلقوا عنهم الاراء التي تلقوها عن بعض اصحاب المفاسد والغايات ويتمسكوا بما هو اقرب الى الحق وابين للعقل السليم . لابل اقول بكل جرأة : ان كان في بناء السد بعض المغامز والشوائب (وهي ليست فيه) فيجب علينا مع ذلك ان نشكر الذين انتجوا لنا هذه النتيجة وهي ان محل الشغل اصبح مدرسة تخرج فيها عملة عديدون من جميع الاصناف مهروا في صناعتهم كل المهارة وكانت البلاد في السابق خالية منهم، عارية من امثالهم. ولاجرم انهم يصبحون للعراقيين امثلة حية لحبة الشغل والجرى على خطة معلومة وتحقيقها على الوجه الاتم المرضي مع اتقان العمل والصناعة التي تلقوها .

ان السد الحالي يبنى على ارض قارة تبعد نحو ٧٠٠ متر فوق السد القديم وشكله شكل جسر قائم على عقود مألوفة وطوله نحو ٢٥٠ متراً وعرضه بين الطوارين (اي بين التيغتين) ٤ امتار وعدد الابواب التي فيه ٣٦ وعرض كل كل منها ٥ امتار وهذه الابواب تكون من المعدن وتنزل انزالاً كما ينزل السيف في القراب واقربها من الآهين (الحديد المصبوب) وتنزل فيها بواسطة آلات خصوصية تقام على الاطورة (التيغ) من جهة صدر النهر تسمى مرافع (جمع مرفعة) ويكون ارتفاع منبسط الماء الذي يمر خلال هذا السد ٦ امتار في وقت

الفيضان ويدفع ٢٦٠٠ متر مكعب فى الثانية . وعرض كل عمود من عواميد هذا السد متر ونصف وطوله عند قاعدته ١٣ متراً .

والسد كله مبنى بالطاباق وبالملاط [الشيمنتو] ولقد صنع له اكثر من ١٢ مليوناً من الآجر واتخذت الاسس من اللياط والملاط (خراسان Béton de ciment) ولم يستعملوا فيه من الحجارة الا حجارة هيت وذلك لتقوية بعض المنحدرات Talus

وبنى على الجانب الايسر من السد درقتان متتاليتان عرض كل منهما ٨ امتار وطولها ٥٠ متراً لتتمكن السفن من العبور من جانب السد الى الجانب الآخر منه . وقد اقيمت تانك الدرقتان (١) لانهم ضموا على بعد ٥٠ متراً من اسفل السد الموصوف فويق هذا سداً آخر مصمتا غواصا Barrage massif submersible عرضه متران ونصف وانحداره متر ونصف فى ايام الصيهود (اى نقصان الماء) والغاية منه ابداله من سد شندرفر الذى لابد له من الاضمحلال .

وفى ايام الفيضان تفتح جميع ابواب السد فيجرى الماء على هواه . ولا يبدأ بسد الابواب الا عند بداءة الصيهود étiage . وحينئذ تفتح قليلا بحيث يمسك الماء المنحدر الى علو مرتفع ارتفاء كافيا ليدخل فى شط الحلة . وقد قيل لى ان سطح الماء فى ذلك الوقت يكون ادنى من حالته المألوفة فى ايام الفيضان بمتر ونصف . ويكون ثخن طبقة الماء الداخلة شط الحلة مترين ونصفاً وحينئذ لا يحتاج الزارع لسقى اراضيه فى ايام الصيهود الا الى كرد اوالى منضحة ترفع الماء الى علو متر ونصف اومترين لاغير . وفى وقت الفيضان يسقى اراضيه بدون آلة رافعة .

وعلى بعد ٤٠٠ متر من اعلى هذا السد وعلى الضفة اليسرى من النهر ينفصل شط الهندية واليوم يتم ماخذ مائه المعروف بالكيالة Régulateur وهو بهيئة جسر معقود وفيه ٦ فتحات عرض كل فتحة ٣ أمتار . ويكون على يسار هذه الكيالة درقة تمكن السفن من عبور النهر الى القناة وبالعكس . وتسد فتحات هذه الكيالة بابواب من المعدن على نحو ابواب السد . وسمعت المهندسين يقولون ان هذه الكيالة تدفع مكعباً قدره (١٥٠) متراً مكعباً فى ايام الفيضان و ٥٠ متراً مكعباً فى ايام الصيهود وهذا يجعل الزارع ان يزرع فى الشتاء اكثر من ١٥٠،٠٠٠ هكتار (جريب) من الارض اى

(١) مثنى درقة والدرقة او البست او الخوخة او الصناع : سداد مع باب متحرك يقام فى النهر او فى الترعة ليمسك الماء او يطلق سراحه كلما احتيج الى ذلك .

١٢،٠٠٠ فدان من قدادين الطابو . وتحت كيالة الماء حفر المهندسون على بعد ٤ كيلومترات شعبة جديدة تكون مبدأ نهر الحلة وطول واديه اوعقيقه ٣٠ متراً وعمق الحفر يزيد على ٣ امتار وقد قيل لي بخصوص مابقي من القناة ان الحكومة تنتظر نضوب الماء من القناة لتبتدئ بكريها (اي بحفرها وتطهيرها) وهذا الكري يشمل مكعبا كبيراً يوجب اشغال اكثر من ٣،٠٠٠ عامل ويؤمل انه ينهي في هذا الخريف القادم مع سائر اشغال البناية .

اني لااشك في ان الحكومة تسترجع في اول سنة من اطلاق الماء في السد مالا طائلا . وان قات لك انوارداتها من شط الحلة او قناة الحلة تكون خمس مرات اكثر مما يردها اليوم فلست مبالغا ابداً بل اكون دون الحقيقة . وعليه يرجع صقع الحلة على ما كان عليه سابقا وتعود اليه ثروته الماضية .

فطوبى وقرة عين للملاكين الذين في الحلة. ولينتفعوا بالماء وليباركوا ربهم عليه وليتذكروا ان القحط الذي وقع فيهم منذ ربع قرن زال والحمد لله وليتعلموا ان اهمال الصغائر ،تؤدي الى الكبائر،وان نتيجة الاهمال،خسارة الاموال .

واليوم قد تحولت اليهم أبصار،جميع سكان هذه الديار،وجميع اهالي العراق يودون ان يحصلوا على ماء غزير في مواطنهم كالماء الذي يحييهم عن قريب .فلندع الى الله ان ييسر للذين قاموا باعباء هذه الاشغال ان يحققوا جميع مانووه من معاهد السقي والري لهذه البلاد . ولنبذل كل مافي وسعنا لتمهيد العقاب التي تقوم بوجههم لعد من الاقوام الراقية الحية .

ودعوني الان في الختام ان اقول تيقظ ارباب الحكم وانتباههم لم ينقطع هنيهة من الزمان اذ لا زالوا يبذلون المال عن يد سخية حتى في ابان الحرب وحتى في معظم الصعوبات التي نشأت في هذه الايام . وقد فعلت ذلك لترى بعين السرور نتيجة الاشغال . وفرح سكان هذه الديار واتباعهم من الحالة التي وصلوا اليها بعد ذلك العز البعيد المنال . ولهذا يحق لنا ان نسطر لتاريخ هذه الدولة صفحة مكتوبة بماء الافتخار ، لابماء النضار ، وان يحصل العراق على تمام مافي الصدور من الامانى ليصدق قول اهل الامثال والمعانى :لهم الرجاء ، تمنوا المياه والجبال !

مندوب مجلة لغة العرب